بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فإن مما جاءت به شريعة الإسلام حفظ الضروريات الخمس التي أولها ورأسها وأساسها العقيدة، التي أمر النبي ﷺ بقتل من اعتدى عليها، وأراد تغييرها فقال ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» وقال: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» والردة تحبط جميع الأعمال: ﴿**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[البقرة:٢١٧] وعملاً بذلك فقد نفذ الخلفاء هذا الحكم في المرتدين، فقتلوا كثيراً منهم كما يحدثنا التاريخ بذلك، وأثنى العلماء على هذا العمل، ورأوه حماية لدين الله من عبث العابثين.

وفي وقتنا هذا نبتت نابتة في تربة الباطنية، وجعلت تشكك في عقيدة المسلمين وتدعو إلى حرية عقائد الملاحدة والزنادقة وتثني على الموجودين منهم، وتبكي على المفقودين، وتنشر

مقالاتهم وتدافع عنها. وتدعو إلى الاكتفاء باسم الإسلام دون نظر إلى معتقد مدعيه ولو كان يتناقض مع الإسلام.

ولذلك ينددون بكتب العقيدة الصحيحة التي تندد بتلك المعتقدات الباطلة وتبين زيفها وبطلانها، ويصفونها بالكتب الضيقة والمتشددة، ويصفون أهلها بأقبح الأوصاف. ويشجعهم على ذلك بعض المنحرفين، ويفتح لهم المجال في بعض المنتديات لنفث ما في صدورهم من نتن وغل وحقد على كتب السنة وأهلها. فجاء كتاب: حراسة العقيدة للدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل رداً على أصحاب هذا الفكر العفن، وهو رد واف في الموضوع، وكاف في نقض شبهاتهم وكشف ضلالاتهم. فجزاه الله خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناته. فقد أجاد وأفاد. ونسأل الله لنا وله التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

تمهـــيد

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[1] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. .

وبعـــد:

فقد ظهرت في الآونة الأخيرة (نابتة) شاذة وغريبة ومريبة، يتصدرها أناس من أهل الأهواء والريب، والموتورين والحاسدين، ومن مختلفي المشارب، وقد سايرهم وفُتن بهم كثير ممن هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ومن الأغرار، ومن المغرورين وعشاق الشهرة، والجاهلين والسذج وغيرهم.

وقد ضاقت هذه النابتة بالسنَّة وأهلها، وبمنهج السلف الصالح ذرعاً، وساءها ما أنعم الله به على هذه البلاد المباركة

---

(١) جاء نحو ذلك في حديث خطبة الحاجة الذي رواه أبو داود في سننه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح. (عون المعبود ٦ / ١٠٨ برقم (٢١١٨)، والترمذي رقم (١١٠٥)، والنسائي (٦ / ٨٩)، وابن ماجة رقم(١٨٩٢).

(المملكة العربية السعودية) وأهلها، من نعمة التوحيد والسنَّة، وأقلقها ما تتمتع به هذه البلاد ـ بحمد الله ـ من الاستقرار والأمن والرخاء واجتماع الراعي والرعية على المسلَّمات والثوابت في الدين والمنهج والأصول، المتمثلة بأصول السنة والجماعة، والتي هي أصول الحق، وامتداد لمنهاج النبوة، وتحقيق لوعد الله تعالى بظهور الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

نعم إنها أصول السنة التي أرست قواعدها تلكم الدعوة المباركة التي سارت على منهاج النبوة وأحيت السنة، وحققت الجماعة، وأزالت معالم الفرقة والبدعة كما أمر الله تعالى، وأوصى رسوله ﷺ.

تلكم الدعوة التي قام بها الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب وأبناؤه وأحفاده وتلاميذه، وآزره الإمام الموفق محمد بن سعود وأبناؤه وأحفاده الذين ناصروا الدعوة وأسهموا في نشرها وحمايتها.

وقد أخذت تلكم (النابتة) الغريبة أشكالاً واتجاهات شتى لضرب أصول السلف الصالح أهل السنة والجماعة من جذورها، ولعل من أبرزها تلكم النحلة التي سلكت مسالك (السبئية والفرقية) لعرقلة المد السلفي المبارك، مستخدمة مناهج أهل الأهواء والبدع والافتراق (قديماً وحديثاً) في هدم أصول

الدين، أو التشكيك فيها والطعن في خيار الأمة واتهام أئمتها وعدولها، والنفوذ من خلال ذلك وغيره إلى فصل أجيالنا عن دينها وتراثها وأسلافها الأخيار، وإلى هز المسلَّمات والثوابت (العقدية وغيرها) في قلوب أبنائها وعقولهم، ومحاولة تلميع الفرق الضالة ودعاته، والتباكي على أطلالها واستعطاف الناس لها بدعوى أنها مظلومة!!.

كل ذلك ـ وغيره ـ من دواهي القوم يحدث تحت شعارات خادعة براقة مثل: العلمية والتحقيق، والبحث العملي أو الموضوعية والمنهجية، والتصحيح والتجرد، والنقد الذاتي، والإشفاق والنصح، بل والإنصاف والعدل والوسطية، ونحو ذلك من الشعارات الخادعة، التي أوهمت بعض شبابنا ومثقفينا، ولبَّست عليهم في دينهم، وزعزعت في بعضهم الثقة بعقيدتهم وسلفهم الصالح، وأوغرت صدرورهم على خيار هذه الأمة من الصحابة والسلف الصالح، وهي في الحقيقة من الزبد الذي سيذهب جفاء بحول الله وقوته، كما قال سبحانه عن الحق والباطل: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

لقد استجابت هذه (النابتة) للتداعي السريع والمركّز من أعداء الحق على السنة وأهلها بشكل غريب ومريب ولافت للنظر، في هذه الظروف العصيبة من حياة الأمة حيث أجلبوا علينا بخيلهم ورجلهم عبر سائر الوسائل في الفضائيات والصحافة والإنترنت والمجالس العامة والخاصة، والمؤلفات والمقالات... وغيرها.

كما أن لبعضهم سعياً جاداً للنفوذ إلى حصوننا، وتمرير طروحاتهم من خلال بعض مراكز التأثير بدعوى التطوير والتصحيح؛ فقد عقدت هذه (النابتة) ألوية الفتنة والحرب السافرة ضد السنة وأهلها، وكانت الفتنة نائمة.

ولا شك أن لهذه الإثارة ما بعدها؛ لأن ليوث الحق لن تترك ألوية الباطل تنتهك الحمى، كما قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وكما أخبرنا النبي ﷺ بخبره الصدق أنه: «**لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»[(١)].

نعم إنها سنة الله تعالى في الصراع بين الحق والباطل، فالسعيد من كان في خندق هل الحق، والشقي من خسر دينه وآخرته ـ نسأل الله السلامة ـ أما الدنيا فإن الله يمنحها من يحب ومن لا يحب، والله حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

معالم المنهج لدى هذه النابتة:

وأبرز ما تبين من منهج هذه (النابتة) وسماتها، ما يلي:

أولاً: أنهم صاروا يلوذون بدعوى أنهم منا، ويشفقون علينا، ويستغفلوننا بدعوى أنهم سلفيون وحنابلة (النشأة والتعليم والالتزام العام الواعي)، على حد تعبير أحدهم عن نفسه، ولا أدري لماذا حصر حنبليته بهذه الأوصاف والقيود، مع العلم أن المنهج العلمي والشرعي والتعليمي العام بهذه البلاد المباركة إنما يلتزم الكتاب والسنة واتباع المذهب الحنبلي مشروط بذلك، ولم يعد للتمذهب أثر يذكر عند طلاب العلم وأهل

(١) رواه البخاري في صحيحة، كتاب المناقب، باب ٢٨ برقم(٣٦٤٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ٧١، برقم(٢٤٧). واللفظ للبخاري.

الفتوى، ثم هم حين يدَّعون النصح نراهم يسلكون مسلك الفاضحين الشامتين المفترين، وأنهم يمدون لنا اليد الشمال من الخلف، ويصفعوننا باليمين، كما سيأتي بيانه.

ثانياً: أنهم بهذا المنهج والأسلوب الجارح الذي سلكوه في النقد وقعوا في شر مما زعموه من النقد والتصحيح إلى الهدم والتجريح، ذلك أن القارئ والسامع لكلامهم في نقد أصول السلف، وتجريح أئمة الدين، إنما يفهم أن أصول السلف خاطئة، وأحكامهم جائرة، وأنهم متهمون، وليسوا بقدوة ولا ثقاة ولا عدول، وهذا ـ بلا شك ـ جور وعدوان وظلم وجهل وتحامل ظاهر.

ثالثاً: أنهم بهذا المنهج الذي سلكوه يهدمون الأصول ويهزون الثوابت، ويشككون بالمسلمات تحت شعار العلمية والموضوعية، والتجرد، والنقد الذاتي، والتصحيح والنصيحة، والإنصاف والعدل، كما أسلفت..

ولذلك فُتن بمقالاتهم فئات من شبابنا ومثقفينا، الذين ليس لديهم العلم الراسخ، ولا الحصانة الكافية في العقيدة وأصول الدين وثوابته ولا الفقه الراسخ ولا الثقة الكافية في المناهج التي عليها أهل السنة والجماعة.

وأسوق لك أخي القارئ الكريم برهان ذلك، أعني على أن هذه النابتة تستهدف أصول الدين والسنة والسلف الصالح ـ بأسلوب أحدهم وتعبيره عن أصول السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ، وقد يسميهم (الحنابلة) من خلال الأنموذج التالي مما قاله[1]:

نقد المذهب الحنبلي في العقيدة.

١ ـ التكفير والتبديع في كتب الحنابلة.

ـ تكفير الإمام أبي حنيفة والحنفية وذمهم وتبديعهم في كتب الحنابلة!!

ـ هل صح التكفير عن أحمد بن حنبل؟!

ـ البربهاري الحنبلي وتكفير المسلمين!!

ـ التكفير عند ابن تيمية!!

ـ ابن القيم لم يسلم من التكفير!!

٢ ـ كثرة الأكاذيب من الأحاديث الموضوعة والآثار الباطلة.

٣ ـ التجسيم والتشبيه.

٤ ـ تأثير العقيدة على الجرح والتعديل.

٥ ـ التناقض.

٦ ـ عدم فهم حجة الآخر.

---

(١) من فهرس كتاب: (قراءة في كتب العقائد).

٧ ـ الظلم.

٨ ـ العنف.

٩ ـ الافتراء على الخصوم.

١٠ ـ إرهاب المتوقفين.

١١ ـ سكوتهم عن الإنكار على بعضهم وانشغالهم بذم الآخرين.

١٢ ـ الغلو في شيوخهم وأئمتهم.

١٣ ـ ردود الأفعال.

١٤ ـ عدم إدراك معنى الكلام!!

١٥ ـ تشريع الكراهية بين المسلمين.

١٦ ـ ذم المناظرة والحوار.

١٧ ـ التزهيد في التحاكم إلى القرآن مع المبالغة في الأخذ بأقوال الرجال.

١٨ ـ التزهيد والتساهل في الكبائر مع التشدد في أمور مختلف فيها.

١٩ ـ التقارب مع اليهود والنصارى والتشدد على المسلمين.

٢٠ ـ تقرير شرعية الفرح بمصائب المسلمين من الطوائف الأخرى.

٢١ ـ الأمر بقطيعة الرحم من أجل العقيدة.

٢٢ ـ النصب.

٢٣ ـ الاستدراك على الشرع (أو بدعة اشتراط فهم السلف) انتهى.

وغير ذلك من العظائم والقوالع والشتائم والاتهامات الناسفة التي رَمَى بها خيار الأمة، وقبل الدخول في بعض التفاصيل أطلب من القارئ الكريم أن يتأمل عبارات هذا المفتون، ليجد أنه يحكم على من هذه صفاتهم ومنهجهم بأحكام ناسفة وجارحة، ولم ينصفهم ولو بعبارة واحدة وبهتهم كلهم ولم يستثن. فإذا كانوا كما افترى فماذا أبقى لهم، وكيف يدعي أنه منهم؟!.

وأداءً للأمانة وتحصيناً لبعض القراء غير المتخصصين وغير العالمين بمنهج السلف الصالح الذين قد يطلعون على هذه الشبهات في مصدرها، فإنه يلزم التنبيه إلى أن هذه المزاعم ليست على المنهج الشرعي ولا العلمي السليم وأنها: تعتمد على التهويش والتهويل والمبالغات والانتقاء غير العلمي وغير المنصف، وعلى التفسير الشخصي والفِرقي للمقالات والأحداث والأقوال والنقول.

وأن بعضها باطل وكذب على الحنابلة، وبعضها من باب الإلزامات التي لا تلزم، وبعضها له وجه لكنها فُسِّرت على غير حقيقتها، أو من الحق الذي صوِّر على صورة الباطل جهلاً، أو تلبيساً أو توهماً أو تحاملاً ـ والله أعلم.

وبعضها من الزلات والأخطاء التي وقع فيها بعض العلماء وغيرهم من أهل السنة وليست من المنهج الحق وليس معصوماً إلا النبي ﷺ.

هذا وقد أجبت على أكثر هذه المزاعم على سبيل الإجمال، وبينت (في هذا الكتاب) أن غالب ما ذكره الكاتب وأشياعه وأسلافه - على هذه الوتيرة - وأنه كثيراً ما ينتقي أخطاء أو زلات، أو اجتهادات خاطئة أو قابلة للنقاش، من قبل بعض المنتسبين للسنة من العلماء، وطلاب العلم والعامة والمصنفين وغيرهم، ويوهم القراء بأنها هي مناهج السلف ويَحكم من خلالها على السنة والجماعة وأهلها على قاعدة: (وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ)، أعني منهج الاستدلال عند أهل الأهواء، الذين يبترون النصوص، أو ينتقونها حسب الأمزجة والأهواء.

رابعاً: ثم إني أعجب - ولا ينقضي عجبي - كيف يدعي أحد الانتساب لدين ومبدأ وعقيدة ومنهاج، ثم هو يسعى لنسف هذا الدين من أصوله وقواعده وثوابته، ويزعم أنه مسلم (سني سلفي حنبلي)، ثم هو يطعن في الصميم ويجرح في العمق، ويسلخ السلف والحنابلة سلخ العدوّ اللدود، ثم هو لا يذكرهم بخير بل يرميهم بعظائم الأمور والطوام من التكفير والتبديع والنصب، والجبر واللعن والشتم، وكثرة الأكاذيب والأحاديث

الموضوعة والآثار الباطلة والتجسيم والتشبيه، والظلم والعنف والتناقض والغلو.. إلى آخره من المفتريات والأوصاف الرديئة التي بهت بها خيار الأمة وسبق ذكر نماذج منها، وهذا ما يقوم عليه منهج هذه النابتة في العموم ويمثله صاحب كتاب (**قراءة في كتب العقائد**)، والله حسبنا ونعم الوكيل.

لكن نحمد الله تعالى أن هذا المفتون شهد على نفسه بأنه ممن يراهم بهذه الأوصاف ـ الرديئة ـ التي ذم فيها السلف وهم ـ بحمد الله ـ بريئون منها، كما برئ الرسول ﷺ من وصف المشركين لهُ بـ (مُذمَّم)، اللهم إلا أن يكون كما وصف نفسه مجرَّد (حنبلي النشأة والتعليم والالتزام الواعي العام) فحسب، لكن هل هو حنبلي المعتقد والمنهج؟ وكيف يكون ذلك؟ وما ذكره عن الحنابلة من هذه العظائم لا يليق أن يرضاه عاقل لنفسه، فكيف بمن يدعي الإسلام؟ أما ما ذكره من (النشأة والتعليم والالتزام العام الواعي) فقد ينطبق على كل أهل البدع والفرق والأهواء والاتجاهات والنحل (الكامنة) في بلاد السنة، والتي منها بعض (ذويه) وأشياعه.

أما دعوته لمباهلة من نسبه لمذهب آخر فهي اعتراف (في الظاهر) بأنه (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) ـ والله أعلم بالسرائر ـ، وليعلم أنه ليس من منهج أهل الحق المباهلة على ما في القلوب،

ولو جاز ذلك لباهلناه على أنه ليس سنياً ولا سلفياً ولا حنبلياً، وليختر لنفسه أي نحلة شاء:

وإن تخالها تخفى على الناس تعلم

نعم إن انتساب مَنْ هذه حاله وهذا منهجه إلي السلف والسنة والحنابلة يعد من إحدى الكُبر، ومن المعادلة الصعبة، والازدواجية غير المقبولة، والتناقض الظاهر، وإن صحت دعواه فإن مثله كمثل الدب الذي رأى الذبابة على أنف صاحبه فألقى الصخرة العظيمة عليه ليقتل الذبابة، لكن الذبابة طارت... والصخرة أين سترتطم؟

خامساً: كثير من الشبهات والمطاعن التي أثارها هؤلاء المفتونون تستهدف أصول دين المسلمين عموماً وليس أهل السنة فحسب؛ لأنها طعن في الوحي ومصادر الحق عندهم، ومناهج التلقي والاستدلال، وطعن في خيار الأمة وقدوتها، وتشويه لسبيل المؤمنين، ويظهر ذلك جلياً من طعنهم في كثير من الصحابة الذين نقلوا الدين، وأسهموا في إرساء قواعد الحق ومناهج السنة، ومن ذلك حصرهم الصحبة على طوائف من الصحابة تُخرج كثيرين من الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ أكثر السنة وكتبوا الوحي، ونقلوا الدين، ثم سبُّهُم

ولمزُهم لكبار الأئمة من التابعين ومن تبعهم على السنة ومنهاج النبوة، الذين يتمثل بهم سبيل المؤمنين، الذي أمر الله باتباعه وتوعد من اتبع غيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

كما يظهر ذلك أيضاً من خلال طعنهم في خلافة الخلفاء الراشدين وبيعتهم؛ الذين أرسوا قواعد الدين ومناهجه على منهاج النبوة، وحفظوا مصادر الدين، وساسوا الأمة به.

سادساً: أنهم بمنهجهم هذا استهدفوا دين الأمة، وأغلى ما تملكه من الأصول والمقومات وهذا من أعظم الفساد والإفساد، فهم كما قال الله تعالى عن أسلافهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

ويظهر استهدافهم لدين الأمة من خلال طعنهم في مناهج حفظ الدين، وضبط مصادره التي سلكها أهل الحديث وأئمة السنة في حفظ السنة، وتدوينها، من خلال منهج الرواية والدراية، بل بعضهم صار يتطاول للطعن في صحة كتب السنة التي أجمع أهل الحق على اعتمادها كصحيحي البخاري ومسلم

فضلاً عن غيرهما. بل تطاولوا إلى اتهام ذم الصحابة والسلف الصالح، فاتهموهم بالعمالة والمداهنة للسلاطين، ليخلصوا إلى أن أصول السنة وعقيدة السلف الصالح تأسست تحت الجبر السياسي في عهد الدولة الأموية بل قد صرح أكثرهم بذلك.

نعم إن من منهج السلف الصالح النصيحة للسلاطين كما أرشد إلى ذلك الرسول ﷺ، والسلف إنما يسيرون في ذلك وغيره على منهاج النبوة عملاً بوصية الرسول ﷺ بلزوم الجماعة والإمام والسمع والطاعة بالمعروف في المنشط والمكره، والصبر على الظلم والأثرة، ولم يقرر السلف شيئاً من ذلك من عند أنفسهم، ولم يلزمهم به أحد من السلاطين ولا غيرهم، أما أهل الأهواء فيعدون مناصحة ولاة الأمور (السلاطين) من المداهنة والعمالة!! لأن أهل الأهواء لا يرون إلا الخروج، ما لم يكن السلطان على نحلتهم.

سابعاً: عند التحقيق في الشبهات والمطاعن التي أثارها هؤلاء المفتونون نجد أنهم لم يبتدعوا منها إلا القليل، وأغلبها إنما هو مما قاله خصوم السنة من أهل الافتراق والبدع والأهواء قديماً وحديثاً، وكذلك رموزهم التي يثنون عليها وينتصرون لها ولمذاهبها وأقوالها ومواقفها ـ قديماً وحديثاً ـ هم أتباع الفرق، وأهل البدع وأصحاب الأهواء والمنحرفون في عقائدهم

وأفكارهم، والمغموزون في تدينهم، فقد تشابهت قلوبهم، كما قال سبحانه عن أشياعهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

نعم إن المتتبع لما أثاروه من المطاعن والشبهات والمآخذ وكيفية انتقائها وأسلوب صياغتها يجد أنها امتداد لما قاله خصوم السنة وأهلها من الشيعة والرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة والجهمية، والمعتزلة وأهل الكلام والصوفية والباطنية والفلاسفة، والزنادقة القدامى والمعاصرين من الحداثيين والعقلانيين والعصرانيين بل كثير منها مما قاله أعداء الإسلام والمسلمين من المستشرقين والمنصِّرين وأصحاب الديانات والملل الضالة.

ومنهجهم العام في أسلوب الطرح يعتمد على أسلوب الحداثيين في اعتماد أسلوب الهدم، وتحطيم الأصول وهدم العقائد وهز الثوابت والتشكيك بالمسلَّمات.

نعم إنك حينما تتأمل الكثير من المفتريات والمطاعن التي أثاروها، تجدها مما قاله أو قال بمثله أولئك الذين سبقوهم من أمثال: أبي رية، ومحمد جواد مغنية، ومحمد كامل حسين وحسن صعب، وطه حسين، وأحمد أمين، وعلي عبدالرازق،

ومحمد حسين هيكل، والدملوجي وأبي شادي، وزهدي جارالله، وعابد الجابري، وأركون، وجابر عصفور، وأدونيس، ومرتضى العسكري، ومحمد عمارة، وحسن حنفي، وعبدالستار الراوي، وأحمد كمال أبوالمجد، ومحمد شحرور، ومحمد فتحي عثمان، وزكي نجيب محمود، وقبلهم داود بن جرجيس، ودحلان، ثم الكوثري، والحبشي، والنشار، ومن سلك سبيلهم.

وهكذا فهم يتابعون مسيرة ركب الشيطان، وخيله ورجله.

ثامناً: أن المتصدر لهذه الراية (راية سبِّ السلف وهدم أصول السنة) لا يخفي نزعته الشيعية، وربما الباطنية، لا سيما حينما يتهم السلف أو كبار علمائهم والمدافعين عنهم بأنهم ناصبة وجبرية وعثمانية، وأن فيهم انحرافاً عن علي وآل البيت، والإكثار من الحديث عن تقسيم الصحابة إلى فئات وأحزاب واتجاهات، ورد الخلافات العقدية إلى عهدهم، وتجذير الفرقة من الأحداث التي حصلت في وقتهم، وتفسير مواقفهم بتفسيرات سوداوية، والطعن في بعضهم أو أكثرهم، والتعريض بخيارهم، بمطاعن كثيرة كدعوى معقولية النزعة القبلية في اختيار خلفاء رسول الله ﷺ، والطعن في خلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة (سوى علي) ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

والإكثار من ذمّ عثمان ومعاوية وبني أمية وحرصه المستميت على إخفاء شخصية ابن سبأ، واهتماماته بما يدور حول أصول الرفض والتشيع ومطاعن القوم في السنة وأهلها، ونحو ذلك مما يصعب حصره، وقد تعني هذه الأمور التذبذب والاضطراب إذا أسقطنا دلالتها الظاهرة على التشيُّع.

وقد تحدثت قبل في (ثانياً) أن دعوته للمباهلة لا تعني صحة دعواه أنه من أهل السنة والسلف والحنابلة والله أعلم بحاله ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[القيامة: ١٤]، وإن صحت دعواه أنه ليس كما يقال، فهو إلى التشيع والباطنية أميل والله أعلم.

وللنفس البشرية في التواءاتها ومكابراتها ما لا يحيط به إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى، وقد يتعسَّر كشف حقيقة النفس على صاحبها ذاته، إلا من وهبه الله الهداية والتوفيق.

ومع ذلك فإني على يقين بأن الله تعالى سيكشف خبيئة هذا المفتون، كما كشف الله كل أسلافه الذين أعلنوا الكيد لهذا الدين وعادوا أولياء الله.

تاسعاً: ومما يحسن التنبه له أن هؤلاء (لأول وهلة) قد يبهرون بعض الشباب والمثقفين وغير المتمكنين في العقيدة والعلم الشرعي، ويقذفون في عقولهم وقلوبهم الشبه

والشكوك، حين يرفعون شعار النقد الهادف، والموضوعية والتحقيق العلمي؛ ثم هم يفرحون بما يحدث من بعض شباب السنة، وبعض طلاب العلم والعلماء من ردود الأفعال السريعة الناتجة عن الغيرة، والتي قد يصحبها شيء من التعجل والتسرع؛ أو نحو ذلك مما هو من تصرفات البشر التي لا تحسب على الدين والمنهج والسنة، أو مايحدث من بعض القادرين من العلماء من أناة أو تباطؤ في رد الباطل والوقوف أمام زحف الأهواء؛ بسبب الانشغال أو من أجل التثبت أو التأني في البحث والرد، فلايعني ذلك عجز أهل الحق عن بيانه والدفاع عنه.

بل ربما يحدث من بعض المنتسبين للسنة شيء من الفتور الذي هو نوع من ضعف المؤمن أمام جلد الفاجر، لكنه أمر عارض سيزول بإذن الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله فإن الله قد تكفل بحفظ الدين ونصره، بعز عزيز أو ذل ذليل، وأنه تعالى ضمن أن لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة وأن تبقى طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم، حتى يقاتل آخرهم الدجال والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وقد لفت نظري أن بعض هؤلاء المفتونين يتباهى بأنه يدعو للمباهلة والمناظرة، ولا يجد من يتصدى له من أهل السنة، ثم

يظن بغروره أن هذا دليل على قوة حجته وعجز أهل السنة، وهذا برهان جهل، فإن أهل السنة ليسوا بحاجة إلى المباهلة ولا إلى المناظرة، ومثالهم مع أهل الأهواء في مثل هذا التحدي مثال النخلة التي وقعت على فرعها بعوضة (ولم تشعر بها النخلة)، فلما أرادت البعوضة أن تقلع نادت النخلة: أن تمسكي فإني سأطير (!)، أما أن يتأثر بعض الجاهلين وضعاف الإيمان أو قليلو العلم الشرعي بهذه الزوابع ويفتتنون بها وبدعاتها، فهذا من سنة الله تعالى في عباده ﴿ ..وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٨٨].

عاشراً: إن مما يؤكد بعد هذا المنهج عن الموضوعية والعلمية والتجرد والإنصاف، بل وعن المنهج الشرعي العادل، أنهم لم يبينوا ولم ينوهوا عن المنهج الأصل عند السلف، وأنه يقوم على الحق والوحي المعصوم (الدليل) وعلى العدل والموضوعية والتجرد للحق، وقد بيّنت من خلال هذا البحث أن ما ذكروه من تجاوزات وأخطاء وزلات، فإن صح أن بعضها تجاوزات وأخطاء وزلات، فإنما هي أخطاء بشر لا تحسب على المنهج، ولا معصوم إلا الرسول ﷺ.

نعم إنهم يعلمون ـ إن كانوا يريدون الحق ـ أن الطريقة العادلة المأمونة إنما تكون في بيان الحق، وسلامة المنهج والاعتدال الذي كان عليه السلف أهل السنة والجماعة، ثم لا

مانع ـ لمن كان من أهل الاختصاص ـ من بيان ما قد يقع من المنتسبين للسنة من أخطاء وزلات، بالضوابط الشرعية.

كما أحسب أنه لا يخفى على من لديه شيء من العلم، أن أفضل طريقة وأسلم منهج عرفه التاريخ في العلمية والموضوعية، ونقد الرجال (الجرح والتعديل ودراسة الأسانيد)، وتمييز النصوص والنقول والمقالات ـ رواية ودراية ـ أنه منهج أهل الحديث، السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، وأن الله حفظ للأمة دينها وعقيدتها وسنة نبيها ﷺ بهذا المنهج الفريد وأهله.

ثم مما يؤكد بُعد هؤلاء المدّعين للمنهجية والموضوعية والبحث العلمي عن ذلك كله، تطاولهم على ما لم يكن من اختصاصهم وهو العلوم الشرعية؛ السنة والعقيدة والحديث وعلومه والرجال ونحوها التي هي من اختصاص الراسخين في العلم، ولذلك نجدهم يصدق فيهم قول النبي ﷺ كما جاء في الصحيحين: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زوز**»[(١)].

ولو أن هؤلاء المفتونين ردُّوا ما اشتبه عليهم علمه في الأمور التي أثاروها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلى الراسخين في العلم الذين يستنبطونه، ويعلمونهم ما جهلوه ويبينون لهم ما خفي

(١) البخاري (٥٢١٩) ومسلم (٢١٢٩).

عليهم، ويحلّون لهم ما أعضل وأشكل لما وقعوا في هذه التورطات والمجازفات، كما أمر الله بذلك أسلافهم بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله سبحانه لعموم الأمة: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وقد وجدت أحسن وصف شخّص مناهج هؤلاء وأمثالهم من أهل البدع والأهواء وأصولهم: ما قاله الإمام أحمد الخبير بعوارهم، وسأسوق عباراته مع شرحها، قال[1]:

[(عقدوا ألوية البدع) أي رفعوا رايات الأهواء والبدع فالابتداع قاسم مشترك بين جميع الأهواء والافتراق.

(وأطلقوا عقال الفتنة)، وأعظمها الفتنة في الدين ومفارقة السنة.

(فهم مختلفون في الكتاب)، يعني كتاب الله تعالى وما جاء به رسول الهدى ﷺ.

(مخالفون للكتاب)، أي القرآن والسنة.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد، ص (٨٥)، تحقيق: عميرة.

(مجمعون على مفارقة الكتاب)، أي اتفقوا في مناهجهم وأصولهم ومقالاتهم على مخالفة القرآن والسنة ومعارضتهما، والتلقي عن غيرهما.

(يقولون على الله)، بغير علم. فهم ينسبون مقالاتهم وأصولهم الفاسدة إلي كتاب الله وسنة رسول الله وإلى دين الله وذلك قول على الله بغير علم.

(وفي الله)، أي يتكلمون في أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله بغير علم.

(وفي كتاب الله بغير علم)، لأنهم جانبوا مناهج أهل العلم، أئمة الهدى في التلقي والاستدلال.

(يتكلمون بالمتشابه من الكلام)، في الصفات والقدر والغيبيات ونحوها مما لا مجال للرأى فيه.

(ويخدعون جهال الناس بما يُشبِّهون عليهم)، فيلبسون الحق بالباطل.

وهذه الأصول العشرة: سمات عامة لأهل الأهواء تجتمع في سائر الفرق ومناهجها].

نعم إن كلام الإمام أحمد هذا إنما هو كلام الخبير بأهل

الأهواء والافتراق والبدع، فتأمله واعتبر، نفعني الله وإياك بالعلم النافع، وجنبني وإياك سبل الغواية.

أخي القارئ:

ستجد في هذا الكتاب إسهام المقل في تقرير الحق وبيان أصالة أصول السلف الصالح أهل السنة والجماعة وكشف فساد مناهج المخالفين لا سيما في الأمور التي أثارها خصومهم ممن ذكرتهم في ثنايا هذا البحث وغيرهم.

ومنهجي في هذا البحث يقوم على بيان الأصول التي قام عليها منهج السلف؛ لتكون بمثابة الميزان للمسلم، يزن بها ما يتعرض له أو يقرؤه أو يسمعه من الشبهات والجهالات التى أثارها هؤلاء المفتونون وغيرهم من أهل الأهواء والبدع قديماً وحديثاً، ولم يكن غرضي الرد التفصيلي على من أشرت إليهم، أو إلى مقالاتهم وكتبهم لكني ذكرت نماذج من شبهاتهم، التي هي السبب في تأليف هذا الكتاب؛ ولذلك لم أتعرض إلا للقليل مما قالوه مع التنويه إلى أنني سبق أن أصدرت بعض الدراسات حول الأهواء والافتراق والبدع[1] ذكرت فيها الكثير

(١) هي مجموعة حلقات تحت عنوان: (رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها)، وقد طبع منها حتى مطلع هذا العام ١٤٢٢هـ سبع حلقات، وأسأل الله الإعانة على استكمالها.

من أصول السلف، وكشفت فيها الكثير من أصول البدع والأهواء والافتراق ونشأتها وأسبابها وآثارها السيئة على الأمة، وبينت ماتيسر لي بيانه من مناهج أهل الأهواء والبدع والافتراق وسماتهم، وقد أفدت منها في هذا الكتاب في مواضع، وهي ـ بحمد الله ـ تكشف الكثير مما أثاره هؤلاء المفتونون وأسلافهم من الخلوف التي تكالبت على السنة وأهلها ـ قديماً وحديثاً ـ والله حسبنا ونعم الوكيل.

وأخيراً.. نحمد الله تعالى على نعمة الإسلام، وسلوك طريق السنة ولزوم الجماعة، ونسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين للحق والهدى، وأن يجمع كلمتهم ويوحد صفوفهم، وأن يعيذهم من الفرقة والأهواء والبدع.

والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

ناصر بن عبد الكريم العقل